قصيدة النثر والمأزق الثقافي

د. جاسم حسين سلطان الخالدي

الكلية التربوية المفتوحة

ملخص

حققت قصيدة النثر العربية خلال العقود الثلاثة الماضية ، إنجازات إبداعية كثيرة ، جعلتها تغادر عتبات الخطاب النقدي التنظيري ، لتحط في عوالم جديدة غير بعيدة عن حركة المجتمع وفاعليته ، بل أصبحت محورا لما هو سسيولوجي ،وانثروبولوجي ، وثقافي ، ولهذا صار من الممكن عدّها – أي قصيدة النثر – بنية ثقافية متنوعة المعارف ، يمكن ان تمدنا بجوانب معرفية كالاجتماع والسياسة والفلسفة وعلم النفس ، والى غير ذلك . ويمكن أن تنفتح نصوصها على موضوعات جديرة بالاهتمام ، نحو : الأنا والآخر ، والذات والموضوع ، والموت والحياة ، والحرب والسلم ، والتشاؤم والتفاؤل وغير ذلك .

إن هذا التنوع يمكن أن يعد منهلا ثقافيا ثرا يتكئ عليه المتلقي العربي، لينتهي إلى موضوعات متنوعة في صميم الثقافة وتجلياتها ، وأن هذا التنوع –أيضا – لم يأت من فراغ ؛ إذ إنه جاء من خلال التطور الحاصل الذي شمل الكتابة الإبداعية برمتها .فقد نجح دعاة هذه القصيدة في الخروج على القوالب الجاهزة التي حنطت القصيدة العربية لقرون طويلة ، والولوج إلى عوالم أكثر رحابة .

وعلى هذا فقصيدة النثر – إذن – لم تكن بعيدة عن حالة التشظي التي عاشتها البلاد العربية منذ العقد السادس وحتى يومنا هذا .لذلك كان لزاما على دعاتها ، ألا ينظروا إلى حضورها في المشهد الشعري بوصفها خروجا على النسق الشعري فحسب ؛ بل هي خروج على منظومة ثقافية واسعة ، تتجاوز

كثيرا قضية الوزن والقافية لتؤلف ظاهرة ثقافية جديرة بالاهتمام . ومن هنا نجد أن الخطاب النقدي حولها لم ينجح في مغادرة الجانب التنظيري ، وبقي يدور في حدود المصطلح ، والمشروعية ، وإيقاعية هذه القصيدة .ولم ينظر اليها بوصفها فعلاً ثقافياً. وإذا أردنا أن نتحدث عن الجانب الثقافي الذي انطوت عليه هذه القصيدة ، وهو ما يجعل الانفتاح على الفضاء السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري مهما للوقوف على شفرات النص ولاسيما إذا ما عرفنا أن انضواء بعض التجارب السابقة كان واضحا تحت ما يمكن تسميته (تثوير اللغة) والركون إلى آليات المناهج الشكلانية التي حيّدت السياق، وتقوقعت في النصوص نفسها .فصار معتادا ان يجنح الشاعر الحديث إلى مناطق جديدة لم يرتدها من قبل .

ان النص على وفق هذا التصور هو " ليس حادثة لغوية مستقلة ذات تشكيل بنيوي منغلق على ذاته ، ومكتف بها ، بل هو كما وصفه " الغذامي " في مشروعه " حادثة ثقافية تنفتح على حقول كثيرة على الرغم من خصوصية كينونتها اللغوية ومظهرية تشكلاتها البلاغية ." وبهذا المعنى فإن قصيدة النثر الحديثة في العراق تضع أمامك صورة ثقافية متنوعة عن حالات الرفض السياسي التي تبنتها النخب الثقافية للسلطة الحاكمة ".كما تقدم – ايضاً – صورة متنوعة الأبعاد لحقبة تاريخية مهمة لم تبرح الذاكرة ، وستمتد لعقود كثيرة تحكي قصة الوجع العراقي ، بما يحمله من خيبات وانكسارات وأحلام مؤجلة ؛ فهي إذن قصيدة نقد سياسي أو اجتماعي ، تفارق السنن القديمة التي سارت عليها القصيدة العربية عبر مراحل تشكلها.

قصيدة النثر والمأزق الثقافي

حققت قصيدة النثر العربية خلال العقود الثلاثة الماضية ، انجازات إبداعية كثيرة جعلتها تغادر عتبات الخطاب النقدي التنظيري ،لتحط في عوالم جديدة غير بعيدة عن حركة المجتمع وفاعليته ، بل اصبحت محورا لما هو

ساسيولوجي ،وانثروبولوجي ، وثقافي ، ولهذا صار من الممكن عدّها –أي قصيدة النثر – بنية ثقافية متنوعة المعارف ، يمكن ان تمدنا بجوانب معرفية كالاجتماع والسياسة والفلسفة وعلم النفس، وإلى غير ذلك . كما يمكن ان تنفتح نصوصها على موضوعات جديرة بالاهتمام ، نحو : الأنا والآخر، والذات والموضوع ، والموت والحياة ، والحرب والسلم، والتشاؤم والتفاؤل ... وغير ذلك.

إن هذا التنوع يمكن أن يعد منهلا ثقافيا ثرا يتكئ عليه المتلقي العربي، لينتهي إلى موضوعات متنوعة في صميم الثقافة وتجلياتها .

إن هذا التنوع –أيضا – لم يأت من فراغ ؛ إذ إنه جاء من خلال التطور الحاصل الذي شمل الكتابة الابداعية برمتها .فقد نجح دعاة هذه القصيدة في الخروج على القوالب الجاهزة التي حنطت القصيدة العربية لقرون طويلة ، والولوج إلى عوالم أكثر رحابة .

وعلى هذا فقصيدة النثر – إذن – لم تكن بعيدة عن حالة التشظي التي عاشتها البلاد العربية منذ العقد السادس وحتى يومنا هذا .لذلك كان لزاما على دعاتها ، ألا ينظروا إلى حضورها في المشهد الشعري بوصفها خروجا على النسق الشعري فحسب ؛ بل هي خروج على منظومة ثقافية واسعة ، تتجاوز كثيرا قضية الوزن والقافية لتؤلف ظاهرة ثقافية جديرة بالاهتمام . ومن هنا نجد أن الخطاب النقدي حولها لم ينجح في مغادرة الجانب التنظيري، وبقي يدور في حدود المصطلح ، والمشروعية ، وإيقاعية هذه القصيدة . ولم ينظر إليها بوصفها فعلاً ثقافياً. وإذا أردنا أن نتحدث عن الجانب الثقافي الذي انطوت عليه هذه القصيدة ، وهو ما يجعل الانفتاح على الفضاء السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري مهما للوقوف على شفرات النص ولاسيما إذا ما عرفنا أن انضواء بعض التجارب السابقة كان واضحا تحت ما يمكن تسميته (تثوير اللغة) والركون إلى آليات المناهج الشكلانية التي حيّدت السياق

وتقوقعت في النصوص نفسها . فصار معتادا أن يجنح الشاعر الحديث إلى مناطق جديدة لم يرتدها من قبل ، ولاسيما أن القصيدة صارت لديه " ردة فعل مقصودة وعنيفة ضد الانفعال السريع " [1] ، وضد ما كان يحصل من عنف وتشظي داخل المنظومة الحاكمة ، وضد ما خلفنة الحروب نفسها من انكسارات كثيرة في الإنسان العراقي ، رافقها تراجع ثقافي واقتصادي غير خاف على كل ذي بصيرة .

ولا شك في أن النص على وفق هذا التصور هو " ليس حادثة لغوية مستقلة ذات تشكيل بنيوي منغلق على ذاته ، ومكتف بها ،بل هو كما وصفه " الغذامي " في مشروعه " حادثة ثقافية تنفتح على حقول كثيرة على الرغم من خصوصية كينونتها اللغوية ومظهرية تشكلاتها البلاغية ."[2]

وبهذا المعنى فإن قصيدة النثر الحديثة في العراق تضع أمامك صورة ثقافية متنوعة عن حالات الرفض السياسي التي تبنتها النخب الثقافية للسلطة الحاكمة ".كما تقدم – ايضاً – صورة متنوعة الأبعاد لحقبة تاريخية مهمة لم تبرح الذاكرة ، وستمتد لعقود كثيرة تحكي قصة الوجع العراقي ، بما يحمله من خيبات وانكسارات وأحلام مؤجلة ؛ فهي إذن قصيدة نقد سياسي أو اجتماعي ، في كثير من الأحيان تفارق السنن القديمة التي سارت عليه القصيدة العربية عبر مراحل تشكيلها .

ففي قصيدة لـ "عماد كاظم عبد الله " بعنوان (في انتظار الحافلة)[3] تفصح عن نوع من العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع عبر الية السرد التي تمثل ميسم الشاعر الشاخص في بناء قصيدته ،وذلك باعتماد ثيمة "النفي والمنفى " التي كانت العلامة الفارقة للإنسان العراقي على مدى عقود ثلاثة . كما يمكن ان نشير إلى أن الشاعر لم يشأ ان يطرح بعض الاحداث السياسية جانبا عن المتلقي الجديد الذي ربما لم يعش حروب الشمال المتكررة ؛ اذ اشار إلى تلك الحروب التاريخية ، وهي إشارة صريحة إلى عنف السلطة

دائما في تعاملها مع قضية داخلية ليست حرب الشمال إلا واحدة منهـا. تقـوم القصيدة المذكورة كلها على خاصية " التداعي " فالشاعر هو الـراوي العلـيم الذي يسرد الأحداث التي تبدو هامشية ويومية وربما يعيشها كلُّ فرد ؛ لكنهـا مهمة في تعرية المنظومة الاجتماعية والسياسية التي كانـت سـائدة ، وربمـا أدانتها وهو ما تجسد في قوله : (4)

في انتظار الحافلة

أمي ..حبيبتي

هل تذكرين؟

عندما كنت صغيرا .. وكان لي من العمر سبع

سنين

قبلت ابنة الجيران

قبلتها ، وهربت

لحقني اخوتها الصغار ..امسكوني اشبعتهم

ضربا

ولكني هربت

كسروا زجاج النافذة الوحيدة في بيتنا القديم

بعد أن عيرتهم من فوق السياج بأختهم الآثمة

ثمة نسق مضمر آخر يمكن أن يصرح بها النص هو أن الشاعر أعاد إلـى أذهانا بريق الحافلة التي كانت تذرع الشوارع جيئة ورواحا، فالحافلـة ليـست وسيلة نقل هنا ؛ بل أصبحت جزءاً من موروث شعبي ارتبط بالحياة البغداديـة وحيوات الناس أحيانا آخر ، ولعل في قول الشاعر: (5)

أرى الحافلة .. تتجه نحوي .. سأغافل سائقها اللص .واصعد من البـاب الخلفي ...

فالنص – كما هو واضح يوثق مرحلة مهمة لكنه توثيق على نحو مغـــاير ، لعل الحافلة تمثل الوطن الضائع ، وسائقها المتسلط على أبنائه .. والصعود من الباب الخلفي دلالة على النكوص والتراجع ، ثم خاتمة القصيدة نفـــسها تؤكـــد محنة الإنسان العراقي وهو يواجه الانكسار والحصار في آن واحد [6]

ما عاد مهما عندي أن أغدوا ملاكا

ما دمت انا لست الشيطان

إن النص يشير إلى تداخل ما هو سياســـي ، ومـــا هـــو اجتمـــاعي ، فالشاعر؛ إذ يشير إلى حدث تاريخي قديم ، فإنه يرصد الفقر المـــدقع الـــذي يسيطر على عموم طبقات المجتمع ، وهو ما تجسد في قوله:

كسروا زجاج النافذة الوحيد في بيتنا القديم

فثمة نص آخر للشاعر نفسه يتسم بالثراء ، ويصلح أن يكون إنموذجاً لقراءة نقدية ثقافية هو "مذكرات " الذي افتتحه الشاعر بخبر عابر: [7]

الطائرات بالآلاف نحو الجزيرة تتجه

الجند والدروع والبوارج

قد تنشب الحروب في أي لحظة

وينتهى العراق

وهكذا سيداتي .. تنتهي نشرة الأخبار

ليلة هانئة وأحلاماً سعيدة .

تبتغي قراءة الخبر أمرين :

الأول : إن الحرب واقعة لا محالة . وإن العراق سينتهي ..

والآخر : إن العراق خبرياً يتصدر نشرات الأخبار العالمية .

وربما يشير خبر إلى أمر ثالث . هو التهويل الإعلامي الذي رافـــق الحـــرب.

وبعد الخبر تتلاحق الصور :

ثلاثة طلاب يدرسون .. وجندي يسخر منهم كان قبل أيام كان طالباً مثلنا يحلم بالتخرج نحو المجهول .

هذه الصور المتلاحقة – حقاً – نجحت في تشكيل العالم على وفق رؤية جديدة تخرق المعطي السائد [8] فقد تتابعت الصور لتعبر عن المحنة الحقيقية التي اكتنفت الذات العراقية ردحاً من الزمن . وعلى هذا فإن قصيدة النثر العراقية الحديثة لم تتقوقع عند جانب معين .. فهي مزيج لما هو اجتماعي صرف .. أو سياسي ، أو اقتصادي .. بمعنى آخر إنها نص ثقافي لم يستهدف " أن يريح اللغة من مهمة انتاج المعنى " [9] على حد تعبير د. محمد عبد المطلب الذي اختزل قصيدة النثر بمهمة واحدة هي انتاج الصوتية .

وفي الوقت عينه يمكن توصيف هذه النصوص .. ونصوص أخرى تنطوي تحت مظلة قصيدة النثر التسعينية في العراق بأنها نصوص" متمردة : متمردة على الواقع الشعري الذي سبقها أولاً ، ومتمردة على السلطة ثانياً ، بوصفها قصيدة " شعوبية بدءاً من طريقة معارضتها السلطة إلى مسحها ظاهرة الحرب إذ أصبحت القصيدة معرضاً فاضحاً لها . وخلف الجمالي يضمر نسقاً ينتمي لصور كرستها السلطة ، وان كانت تنتمي القصيدة للواقعة اليومية " [10] ، كما تجسد في قول علي سعدون [11]:

قولوا للكلاب السائبة

في القاعات

والمكاتب

والمطارات

للخالدين في الوحل

اكتبوا لهم جميعاً

للمصفقين وحاملي صور هذا وذاك

إن رجلاً بجوارهم يموت

يموت

وهو يحلم بغيابهم ليوم واحد !

تتطلب قراءة هذا النص "حدساً نقدياً هائلاً ، لا يتقوقع داخل النص الا بالقدر الذي " يدرجه داخل حركة عامة ، يكشف حركته الداخلية بوصفها أحد الأطر الممكنة التي تسلكها الكتابة " [12] وبمعنى ادق .. أن القراءة التي نريد . تلك القراءة التي لا تتوقف عند حدود النص ولا تقبل منطقه الداخلي ، بل تحاول من خلال منطق آخر ، إنه منطق النص ، إدخاله في حيز أكبر منه . [13]

وهو المنطق نفسه الذي نحتكم إليه ونحن نقرأ نص " علي سعدون " الآخر المرسوم بـ " أحذية " الذي ينطوي على أنساق متعددة ، لكن النسق الأكثر شيوعاً هو تعرية الواقع الاجتماعي ، يقول الشاعر : [14]

وحدها تعانق المطر الذي يخذلها كل مرة

ولا تبوح بغبارها لأحد

وهي ذاتها من داست بأعصاب باردة

أنف من أحرق المكتبة أو باع المتحف

أو صفق للغزاة بحرارة .

لقد انفتح النص على عدد من الكوى التي من خلالها وبها تنداح صرخات الشاعر بإزاء ما حصل من أعمال بربرية طالت الثقافة العراقية .. التي تمثلت بحرق المكتبة الوطنية وسرقة المتحف وبيعه وغيرها. .

ولعل من المهم القول – هنا – إن لفظة – " صفق " التي ختم بها هذا المشهد : أو صفق للغزاة بحرارة " فهي تنتمي إلى المعجم ذاته الذي ينهل منه الشاعر ، فقد تكررت في نصوص كثيرة وهي تنطوي على إدانة واضحة وصريحة للإنسان العراقي ، كما تجسد في قوله : [15]

أحذية قانية وأخرى فاقعة

مع ذلك هي لا تتباهى مثل بعضهم

ولا تشتم أحداً

مثلما لا تصفق لأحد طوال عمرها .

وفي قوله أيضاً [16]

ما الذي يدور في خلدك وأنت تكرع الدم الذي سال

في الباب الشرقي

أي كتاب قرأت بعدها ومن

صفق لك ؟

ويقول في مكان آخر : [17]

الأوباش باعة الدم والتصفيق

وقوله كذلك : [18]

كلّ شيء يهتز

الكروش

ومؤخرات السياسيين بفعل التصفيق .

إن هوس الشاعر بالمعنى والخوض في موضوعات تبدو ثانوية لا يمكن تفسيره إلا بكون النص المعاصر ، قد خرج من التقريرية التي قتلت الشعر العربي لعقود طويلة ، ومن ثمّ الاتجاه صوب استحداث " بلاغية مفارقة، وايقاعية مفارقة ، ودلالية مفارقة ، لكنه أوّل في الأخيرة حتى أصبحت اللادلالة بديلاً شرعياً للدلالة " . [19]

يمكن أن نشير إلى أن الشاعر " على سعدون " على الرغم من بساطة موضوعاته وعفويتها – إذا صح التعبير – فإن وراءه مغزى بعيداً وحياة أكثر اتساعاً وتشعباً .

هذا كله يؤكد مقولة الغذامي بأن " ما جرى في نهاية الأربعينيات من فتح شعري " هو حادثة ثقافية لها دلالاتها الحضارية " [20] التي يمكن أن نعكسها على قصيدة النثر الحديثة التي انفتحت على ما هو يومي ومقموع

وهامشي ليؤلف قيمة إبداعية ليأنسن لغة الشعر والشاعر . ومن ثم تنتهي أسطورة المقدس ولم يعد الشاعر " نبياً أو فحل الفحول، أو أنا طاغية ، وانما هو بشر فيه نقص وضعف ومحتاج ومنكسر " . (21)

لقد استثمر الشاعر العراقي المعاصر قصيدته إلى أقصى حد ليكشف قبح الحياة والمجتمع وربما قبح الاشياء لذلك نجد نصوصهم مليئة بـ (لاءات) لا تحصى تصور هواجس الموت وهواجس الحياة ، الموت المرتقب الذي صار الوجه الأكثر طغياناً ، ويندر أن نجد شاعراً لم ينغمس في أتون ثيمة الموت ، حتى صار الموت معادلاً موضوعياً للحياة الراهنة . يقول جمال جاسم أمين:(22)

هكذا

سيقف الموت على مخلبيه

فادحاً...

ينظر إلى الأرض ككرة من نار

وبشراهة...

لا تبلغها سوى شراهة المقصات

سيحدث أعماركم عن القصر

ونرجسكم عن الذبول

يحدثكم

كيف تصبون أصواتكم

في جرار من الصمت

وترحلون بلا ذكريات

واضح هنا كيف أن الشاعر تعامل مع ثيمة الموت تعاملاً حداثوياً بعيداً عن التعامل الكلاسيكي الجاهز ، فقد غلف الشاعر خطابه بشيء من السخرية، وربما الخيبة ، وهي ما تبوح به التراكيب التالية :

سيحدث أعماركم عن القصر ، ونرجسكم عن الذبول ، وكيف تـــصبون أصواتكم في جرار من الصمت ، وترحلون بلا ذكريات . ثم تأتي بعـــد ذلـــك حشد من الـــ " لاءات " التي تكتب المأساة العراقية ، وتعبر عنها بلغة ممزوجة بالسخرية لاذعة ، يقول جمال جاسم : [23]

حيث لا قداسة للمومياء ات

ولا أسواق ...

لباعة الأحجار الكريمة

فعندئذ...

لا مكان لهشيم أرواحكم اليابسة .

سوى فسحة في رياح الجحود

فتكرار لا النافية للجنس تكشف عن حالة الحرمان التي يريد الشاعر رصـــدها ، والتعبير عنها إذ يقول : [24]

لا هديل لأيامنا

لا حدائق تأوي عصافيرنا بعد الآن

ربما نحتاج فقط

إلى فسحة نتبادل فيها التجاعيد

وهي سمة تكاد تكون منتشرة في أكثر قصائد شعراء النثـــر التـــسعينيين ومـــا بعدهم، يقول نصير الشيخ [25]:

لا بلد

أهديك أهلته

لا ورد اتوجه اشتعالاتي

...

لا أُرواح خطوتي فيك

أسر إليك أروقتي

بقاياي

وربما تبدو اكثر وضوحا في شعر" مروان عادل " الذي يمثل شعره نسيجا خاصاً ، يصعب على الناقد أن يضعه في ضمن شعراء جيله ، فهو إذا جازت العبارة ، عصي على التجييل ، إذ يقول : (26)

لا مكان لي حين يدفن المدخنون حرائقهم
في قشور برتقالة
حين يفضل المتسوقون أسماكاً تتعذب !
ويضرب الطبالون
على جلود حيوانات أكلوها !

إن النصوص محملة بأنساق مضمرة كثيرة تعصف بالشاعر لتؤلف " تمظهراً ثقافياً لوعي المؤلف لما يدور حوله " [27] عن استنطاق النصوص والولوج إلى أعماق أعماقها ، بمعنى إننا نقارب النصوص خارجياً للوصول إلى النسق الثقافي الأكثر هيمنة في النصوص الابداعية ، لذلك فإن عزل النص في إطار القراءة النصية تفقده أهم خاصية تمده بالحياة هي صلته بالواقع ، أو تمثيلات الواقع في الكتابة الشعرية .[28]

ان هيمنة (لا) الرفض على قصائد الشعر تفصح من جهة أخرى عن قصدية واضحة لحالة الرفض التي تبناها شاعر قصيدة النثر ، فقد عبر عن الحرب وما جرته من ويلات على هذا الشعب بشيء مختلف عما عبر عنه بعض العموديين الذين تحولت قصائدهم إلى أهازيج حربية ، ذلك أن الحرب صارت ثيمة دالة على جيل التسعينيات ، عبروا عنها بأشكال مختلفة ، فقد انغمست قصائدهم في أتون الهم العراقي وتابعت الحرب وانغمست في اتونها برؤى جديدة تخرج عن تلك التعبوية إلى أشبه ما تكون وثيقة ادانة للحرب بشكل عام ، وفي ملاحقتنا مجموعاتهم، في الوقت الحالي فإنها تكشف عن انهم لم يغادروا ذلك الميسم وبقيت قصائدهم تدور في فلك الحرب التي تجدد فتنهار حياة الناس ، وتصبح الأرض يباباً ، كما يقول صفاء ذياب : [29]

هذه الحرب تتأنّق كلّ يوم

فمنذ ثلاثين عاما كانت ترتدي الأخضرَ في الشوارعِ

توزع الأشجارَ على الدروب

وتصبغُ البنايات بورودٍ يابسة ...

وهنا تبدو مهمة الشاعر ثقافية أكثر مما هي جمالية ، هي كشف لصورة الحرب القبيحة التي كانت نتيجتها ملايين من اليتامى ، ومعاقين كثر، وارامل لا تعد ، وحرائق ، وهزائم ، وعلامات فارقة كثيرة ، وموت أحمر:[30]

لدي ملايين اليتامى

وأطراف لا تحصى

فتحت سوقا لبيع الأيدي والأرجل والأصابع

فالقصيدة – إذن – كشف واستبطان لذاكرة عاجة بأيام سود ، ومفارقات مبكية ، وتناقضات لا تنتهي ، فقد أنسن الشاعر الحرب وحوّلها إلى واهبة وسخية ، فقد وهبت الجنود وظائف كثيرة ، والناس العاطلين عن العمل مهنا جديدة ، لا يتقنها أحد ، يقول صفاء ذياب : [31]

إنها الحرب

لم تترك مجالا للعاطلين

....

وهبتني الحر أشياء كثيرة

وعلمتني مهناً لا تعدُّ

علمتني كيف أصنع التوابيت

وكيف أنوح على اخوتي

الحرب – إذن – وهبت الناس علاماتهم الفارقة ، وصار لكل واحد منهم علامته الفارقة ، فثمة شهيد ، وامرأة شهيد ، وأسير ، وامرأة أسير ، ومعاق ، وهارب ...ألخ إنها بحق علامات فارقة لشعب اعزل : [32]

من منا لم تهبه الحرب

علامته الفارقة

فقد امتزجت الأرواح مع الحرب في حالة فريدة ، ثمة حفل زفاف بالقرب منه مجلس عزاء ، ثمة أحلام كثيرة مؤجلة ، تنتظر نهايتها ، حتى صارت الحرب مرآة يرى الإنسان صورته من خلالها وهي صورة تركت الحرب بصماتها عليه : [33]

أحقاً هذا وجهي

لم أره منذ سنين طوال

لكني أتذكر آخر مرة رأيته فيها نادياً وغضاً

لم تمر عليه سوى ثلاث حروب

وحصار

وثلج يتساقط

لماذا إذن كل هذه الندوب

لم تدن منه سوى رشاشتين ومسدس وعدد قليل من القنابل

اليدوية

لا يمكن للمرء أن يتحدث عن قصيدة النثر في العراق بمعزل عن تلك الأنا المتوثبة والمتأججة التي تلف قصائد شعرائها ، وذلك الألم الذي صار "قوانة قديمة " غير أنها متجددة يقول مروان عادل : [34]

جرى

أن وجهه صار خاتماً

وأن سلسلة من هموم علقت قلبه وتدلت

من إذن " قوانة قديمة "

وان هذه الانا حولت بعض شعرائها إلى رفضة ، ووعاظ ،ودعاة ، ونصوصهم إلى رفض، حكم، ومواعظ:[35] كما نلمسه في قول مهدي القرشي:

كفى صفيراً في الموسيقى

كفى نوما في مزرعة النسيان

كفى سرقة عطر الوردة والساقية

كفى خنق تنفس المراعي بحذاء امريكي

وقد تحول الشاعر بفعل عسر تلك الحياة وضيقها إلى راء وشاهد لما حصل او لم يحصل : (36)

رأيت الف لؤلؤة لا تضيئ

رأيت حديقة عاقر ومطر خلب

ثم يقول :

رأيت شاعراً يكتب قصيدة حب تحت المطر الاسود

رأيت ربيعاً عارياً

رأيت حماراً يحمل فلسفة العولمة ويأكل رأس المال

رأيت حربين وحصار يعتصره البرد

رأيت أخوة يوسف يفضون بكارة الكلام

وزليخة تلتهم الموز

إن الخوض في هكذا نصوص، تأخذنا بعيداً عما هو جمالي ، أو فني، وتحط بك في فضاءات أكثر اتساعاً واتساقاً مع مسيرة الألم العراقي الذي لا يتوقف ، إنها نصوص تبوح بما هو مضمر، لكنه ممزوج بما هو اكثر التصاقا بالروح الباحثة عن فرصة لحياة أخرى بعيداً عن الحرب والجوع والفاقة .

وربما هذه الحياة الضاجة بالقهر والحروب والحصار ، قد تركت بعض الآثار على بعض نصوصهم ووسمتها بطابع اليأس والتشاؤم : (37)

عاطل انا

واسرافيل يتأبط دفتر ذنوبي

أو قوله :

كل ما تبقى من الوردة

شوكها

والجوع يوزع الفخاخ

أو قوله :

تنحني الأرض تقبلني

وأنا لفرط غبائي

امنحها جسدي

وربما حتى عنوانات قصائدهم تشي بتلك الأنوية المتضخمة من قبيل : " انا واحد وانت تتكرر" ، لمهدي القريشي ، لكن ذلك لا يمنع من وجود قصائد أخرى تحاول أن توقد مصباح الحياة لترى الحياة بعين بيضاء وهو عنوان المجموعة الشعرية لأحمد عزاوي.

وبعد فإن المتأمل كثيراً في معظم شعراء الجيلين الاخيرين يعلم جيداً أن قصائدهم تحلق في جناح الحياة وما تحفل به من راهن ثقافي متنوع ومختلف ، مستثمرة تلك المساحة المتاحة من الخرق العظيم في النسق الشعري الذي أحدثه رواد قصيدة النثر بحيث صرنا نرى في قصيدة النثر العراقية حادثة ثقافية أكثر مما هي جمالية أو فنية وتحولت بفضل لغتها المجازية وما تحفل به من مفارقات وتناقضات ولعب لفظي متنوع إلى شعر يعبر المخيلة ليحلق في فضاء الحياة بكل تداعياتها وتشظياتها .

الاحالات

(1): واقع قصيدة النثر في العراق ، حكمت الحاج ، مجلة آفاق عربية ، بغداد العدد (7-8) 1996م نقلاً عن الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر في العراق، أ.د . محمد صابر عبيد دار الشؤون الثقافية ، ط1 بغداد 2010م. : 156.

(2): المصدر نفسه : 156-157. وينظر: النقد الثقافي وقراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط1 ، 2000م : 14.

(3): شاهدان ومئذنة ، مجموعة شعرية مشتركة ، حبيب النورس ، عماد كاظم عبدالله ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، نادي الشعر ، 2010م : 18.

(4) : المصدر نفسه : 18.

(5): المصدر نفسه : 20

(6): المصدر نفسه :20

(7): المصدر نفسه : 23.

(8) : المصدر نفسه : 9.

(9): النص المشكل ، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر، ط1 ، 1999م : 134.

(10): الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر في العراق : 156.

(11): اصغاء للمنفى ، علي سعدون منشورات عين (6) ، ط1، 2006م. : 21

(12): دراسات في نقد الشعر ، الياس خوري : 70

(13) : المصدر نفسه : 71.

(14): اصغاء للمنفى :

(15) : **المصدر نفسه : 26.**

(16) : المصدر نفسه :30.

(17) : المصدر نفسه : 38.

(18) : المصدر نفسه : 48.

(19): النص المشكل : 77.

(20): قراءة القصيدة الحرة ، أ.د، محمد عبد الله الغذامي ، مجلة الاقلام ، العدد (5) تشرين الاول ، 1982.

(21) : المصدر نفسه : 19.

(22) ؛ سعادات سيئة الصيت ، جمال جاسم أمين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 2008م : 143.

(23): المصدر نفسه : 144.

(24) : المصدر نفسه : 150.

(25): شجر من محنة الوقت ، نصير الشيخ ، دار الينابيع ، سورية – دمشق ، ط1، 2010م : 83-84.

(26): تراتيل طيور محنطة ، مروان عادل ، مؤسسة شرق غرب – ديوان المسار للنشر ، ط1، 2009م : 79.

(27) خارج الادب ، صادق ناصر الصكر، اصدارات اتحاد الادباء والكتاب العراقيين في ميسان ،ط1، 2011م: 91

(28): ينظر : المصدر نفسه : 91.

(29): ثلج ابيض بضفيرة سوداء ، صفاء ذياب ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2012م : 13.

(30): المصدر نفسه : 13.

(31): المصدر نفسه : 13- 14.

(32): المصدر نفسه : 15.

(33) : المصدر نفسه : 21.

(34) تراتيل طيور محنطة : 13.

(35): انا واحد وانت تتكرر ، مهدي القرشي ، دار الشؤون الثقافية / بغداد ، ط1 ، 2005م :36.

(36): المصدر نفسه : 37.

(37) :المصدر نفسه : 55-56.

المصادر

- انا واحد وانت تتكرر ، مهدي القرشي ، دار الشؤون الثقافية / بغداد ، ط1 ، 2005م .
- اصغاء للمنفى ، علي سعدون منشورات عين (6) ، ط1، 2006م.
- تراتيل طيور محنطة ، مروان عادل ، مؤسسة شرق غرب – ديوان المسار للنشر ، ط1،
- ثلج ابيض بضفيرة سوداء ، صفاء ذياب ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2012م
- خارج الادب ، صادق ناصر الصكر، اصدارات اتحاد الادباء والكتاب العراقيين في ميسان ،ط1، 2011م
- دراسات في نقد الشعر ، الياس خوري، ط1 ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، 1981.
- سعادات سيئة الصيت ، جمال جاسم أمين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 2008م
- شاهدان ومئذنة ، مجموعة شعرية مشتركة ، حبيب النورس ، عماد كاظم عبدالله ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، نادي الشعر ، 2010م
- شجر من محنة الوقت ، نصير الشيخ ، دار الينابيع ، سورية – دمشق ، ط1، 2010م
- الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر في العراق، أ.د . محمد صابر عبيد دار الشؤون الثقافية ، ط1 بغداد 2010م .
- قراءة القصيدة الحرة ، أ.د، محمد عبد الله الغذامي ، مجلة الاقلام ، العدد (5) تشرين الاول ، 1982
- النص المشكل ، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر، ط1 ، 1999م

- النقد الثقافي وقراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط1 ، 2000م
- واقع قصيدة النثر في العراق ، حكمت الحاج ، مجلة آفاق عربية ، بغداد العدد (7-8) 1996م.

Prose poem and cultural impasse

DR.Jasim Hussein sultan Al-khalidy
Educational open college
Arabic Language Dep.

Arab prose poem has achieved during the past three centuries, many innovative achievements, made it leave the critical discourse theoretical thresholds, to latch in new worlds, not far from the society and its effectiveness, but has become a hub what is Sociology, and Anthropological, and cultural,and this became possible counting it's any poem prose, the structure of a variety of cultural knowledge, can provide us with cognitive aspects as Sociology, politics, philosophy and psychology. And so on .It can also open up texts on topics worthwhile, about: Ego, and the other, self and object, and life and death, war and peace, pessimism and optimism, and so on.

This diversity can be longer branch culturally sit on it Arab receiver, to end to a variety of topics at the heart of culture and its manifestations and that this diversity is also not come out of thin air, as it came through evolution, which included the entire creative writing. Advocates have succeeded this poem out on ready-made templates that embalming Arabic poem for centuries, and access to more expansive worlds.

And such prose permission were not far from the case that the country experienced fragmentation Arab sixth century ago and to this day so it was incumbent upon the proponents only look to poetic presence in the scene, but they are out on the cultural system and wide. It across more issue rhyme and rhythm to make up a cultural phenomenon worthy of attention. Hence, we find that critical discourse around it did not succeeded text on this perception is "not a separate language incident with structural closed shaping itself, and it is sufficient, as described" Algothamy "cultural event open to many fields' in leaving the theoretical side spins remained within the limits of the term, Which makes opening up the political space and social, economic and intellectual important to find out the blades text.

In this sense prose in Iraq put in front of you a variety of images on cases of political rejection of cultural elites to power. Then it is a poem a political and social criticism dissociation laws old poem goes through the stages of its formation.